مناسبة أحكام التلاوة للمعنى القرآني
المد إنموذجًا

Appropriate provisions of recitation of the Quranic meaning
The tide is a mode

م.م. **منصور نعيم علي القرشي**
الكلية التربوية المفتوحة- مركز واسط الدراسي
Mansour Naheem Ali
open educational college
www.mansournaheem@yahoo.com

الملخص:

كان ومازال القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي تحدى الله بها كل الخلق مجتمعين أو متفرقين على الاتيان ببعضه، وقد انتهت كل المحاولات بالفشل، لأن النص القرآني تشكّل بدقة لامتناهية، ووضِع كل حرفٍ وصوتٍ بمكانه الذي لا يصح ان يُستخدم في موضع آخر، فإن دقة نظم القرآن الكريم تجاوزت الجوانب العلمية والبلاغية والاسلوبية من ترتيب الكلمات والسياق والاصوات وصولا إلى أثر احكام التجويد على المعنى، لذا نجد في المصحف الشريف كلمات احتوت على حروف مدية، وأخرى على حروف الادغام، فضلا عن صفات الحروف التي تزيد من دلالات المعاني بتواشجها واتساقها مع بعضها أو غيرها. وقد درست في هذا البحث العلاقة والاثر الحادث من وجود المد في الكلمات القرآنية، أو أثر المد على المعنى القرآني ومناسبته له، وما يحدث لدلالة الكلمات بسبب وجود المد في الكلمة.

الكلمات المفتاحية : المد، مناسبة المد، المعنى القرآني.

Abstract

The Glorious Quran was and still is the eternal miracle by which Allah challenged all creation, together or separately, to come with each other, and all attempts ended in failure, because the Quranic text was formed with infinite accuracy, and every letter and sound was placed in its place that should not be used in another place. The accuracy of the systems of the Glorious Quran exceeded the scientific, rhetorical and methodical aspects of the order of words, context and sounds to the effect of the

In this research, I studied the relationship and the effect of the presence of the extension in the Quranic words, or the effect of the extension on the Quranic meaning and its relevance to it, and what happens to the meaning of the words due to the presence of the extension in the word provisions of intonation on the meaning. So we find in the Glorious Quran words that contain tidal letters, and others that contain diaphragmatic letters, as well as the characteristics of the letters that increase the meanings by their correspondence and consistency with each other or others .

The word Key: the Quran senten, extension

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير من نطق بكتاب الله الكريم محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، اما بعد:

فالمصحف الشريف جاء صوتاً لا رسماً، فقد أثبتت الروايات الصحيحة بأن الوحي جبريل (عليه السلام) قرأ الآيات المباركات على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مشافهة، وكان يأتيه بين الحين والآخر يسمع منه (صلى الله عليه وآله وسلم) الآيات المباركات لئلا ينسى بعضا منها، وكان لهذا الأداء صورة مخصوصة وهي مدّ بعض الحروف وادغام أخرى، أو اخفائها، أو غيرها من احكام التلاوة التي ذكرها الاعلام في كتب ومؤلفات عديدة، وكان لهذا الأداء قصد في إيصال المعنى إلى السامع، إذ كان لهذه الاحكام دور في بيان وتقوية دلالات النصوص القرآنية المباركة، وهذا ما حاولت ان أبينه في هذا البحث وهو مناسبة أحكام التلاوة للمعنى القرآني؛ وبسبب كثرة هذه الأحكام اخترت أن أدرس أثر حكم المد على الكلمات القرآنية، وأثر الصوت اللغوي وخصائص الأصوات العربية على المعنى، وبيان المعنى الناتج من تلاقي الأصوات مع بعضها البعض، كل ذلك حاولت ان أبينه في ثلاثة المبحث الأول التعريف بالمد وبيان انواعه وحروفه، ثم المبحث الثاني المد بسبب الهمز، وبعده المبحث الثالث الذي اشتمل على بيان المد بسبب السكون، ثم ختمتها بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وبعض التوصيات لطلبة العلم والباحثين.

المبحث الأول :ماهية المد:

قبل الخوض في مناسبة المد على المعنى القرآني لابد لي من بيان معنى المد لغةً واصطلاحاً وبيان أنواعه وحروفه، وعلاقته بالعلوم الأخرى.

المطلب الأول: التعريف بالمد:

المد لغة يدور حول معنى المط، والاكثار، والزيادة، والإطالة في الصوت قال ابن منظور: "مد الحرف يمده مدا طوله" (١)، "الزيادة والتطويل" (٢)، وقد يأتي بمعنى الاكثار (٣).

فالمد هو إطالة الصوت عن النطق بأحد حروف المد الثلاثة الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها(٤)، أو هو عبارة عن مط الحرف أكثر من مقداره الطبيعي(٥).

تتصف حروف المد الاصلية أو المدود الفرعية بمزية اطالة الصوت حين النطق بها، وهذه المزية خاصة بالتركيب المكون للمدود دون سواها من حروف اللغة العربية، فضلا عن حروف المد الاصلية المؤلفة للمد الطبيعي.

المطلب الثاني: أنواعه وحروفه:

للمد نوعان فقط، تتفرع من أحدهما أنواع متعددة، اصطلح العلماء بعض العلامات الدالة على هذه المدود، والتي تمّكن القارئ من التعرف على موضع المد ليطيل صوته فيه، وهذه الانواع هي:

المد الطبيعي:- وهو الذي "لا يقوم ذات حرف المد دونه" (٦)، أو هو إطالة الصوت حين النطق بالألف الساكنة المفتوح ما قبلها، أو الياء الساكنة المكسور ما قبلها، أو الواو الساكنة المضموم ما قبلها، وسمي بهذا الاسم؛ لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيد في مده ولا ينقص(٧) .

وسمي ايضاً بالمد الذاتي؛ لأن "ذات الحرف لا تتحقق الا به" (٨)، ولا يستند في تحققه إلى سبب كالهمز أو السكون(٩) وسمي بالمد الأصلي؛ لأنه اصل للنوع الآخر(١٠)؛ لاعتماد الفرعي على الأصلي، ويندرج تحته مد البدل(١١).

المد الفرعي:- وهو "الزائد على المد الأصلي بسبب من همز أو سكون" (١٢) إطالة الصوت حين النطق بحروف المد وهي الألف في كل احوالها، أو الياء الساكنة المكسور ما قبلها، أو الواو الساكنة المضموم ما قبلها، ولا تكون هذه الزيادة لا تكون الا بسبب (١٣)، وهو مجيء الهمزة بعده، أو بعض الحركات الاعرابية، التي سيأتي تفصيلها في مباحث لاحقة.

المطلب الثالث: علاقته بعلوم اللغة العربية:

ارتبطت أحكام التجويد بالحروف العربية من حيث مدّها، أو ادغامها، او اخفائها، أو

اظهارها، كونها مادة هذا العلم، فعلوم اللغة العربية المتنوعة كالصوت، والصرف، والنحو، والبيان، وغيرها من العلوم، هي مادة علم التجويد، ولهذه العلوم علاقة متواصلة مع علم التجويد، فلعلم الاصوات دور كبير في تزويد المتكلم بالضوابط التي تجعل من أدائه مبيناً، فصيحاً، ثم يأتي علم الصرف الذي يأخذ على عاتقه بنية الكلمة، ثم علم البيان الذي يجعل من تآلف الكلمات نصا بليغا غزير المعاني(١٤).

فإن العلاقة الرابطة بين هذه العلوم هي علاقة تكاملية، يكمّل أحدها الآخر لإفادة المعنى؛ لأنّ علم التجويد وعلوم اللغة العربية تعمل مجتمعة فترسم أثرها على المعنى والدلالة المتولدة من اجتماع المفردات فتجعل من النصوص أوعية للمعاني والاغراض البلاغية وقد ينتج من هذا التناغم اتساع دلالي يمكن أن يشعر به المتلقي اللبيب، عند سماع أداء القارئ لكلمات القرآن المباركة.

المبحث الثاني: المد بسبب السكون (اللازم، العارض، اللين)

المطلب الأول: المد اللازم:

وهو مجيء حرف المد بعد سكون أصلي، ويكون في كلمة أو حرف وقد سمى لازما؛ للزومه وصلاً ووقفاً، ولزوم مده حالة واحدة وهي: ست حركات. (١٥)، مثل (الطامة، الصاخة)، في قوله تعالى: "**ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى** "(١٦)،"**ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ** "(١٧)، فإن القارئ لهذه الآيات المباركات يراها مشتملة على اسم من أسماء يوم القيامة فقط، ولكن المتأمل اللبيب لهذه الآيات يرى وقع المد واثره على المعنى القرآني.

وحين نستعرض آراء المفسرين نجدهم قد ذهبوا إلى تهويل وتعظيم ذلك اليوم من خلال تركيب هذه الحروف وأثر المد اللازم الذي جاء موافقا للمعنى الحقيقي لهول ذلك اليوم، قال الطبري: " فإذا جاءت التي تطم على كل هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها "(١٨)، "سميت بذلك؛ لأنها تطمّ كل شيء، والتي يقع معها البعث، والحساب"(١٩)، "وسميت القيامة (طامة)، لأنها تكبس كل شيء وتكسره، وسميت الصاخة، والصاخة من الصخ: الصوت الشديد، لأنه بشدة صوتها يجثو لها الناس، كما يتنبه النائم بالصوت الشديد"(٢٠)

كما أنّ بعض أهل العلم اطلق على هذا النوع من المدود بمد التعظيم؛ لأنه من المدود التي لا يصح قصرها بل يجب الاشباع مدها ست حركات(٢١).

إنّ المتأمل لهذه الكلمات يجد أن المد في كلمتي (الطامة، الصاخة) اضاف على معناها معناً زاد من هول وقع هذه الكلمات على السامع، واستعماله لحروف الاطباق

(ط،ص) عزز ذلك المعنى، وقد لا نجد هذا الشعور في كلمة (القارعة)، لذلك تكرر لفظها في ثلاث آيات متتالية بأسلوب اختاره الله سبحانه لحكمة منه سبحانه، كما في قوله تعالى : "ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**" (٢٢).

"**ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**" (٢٣)، لقد ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن الضالين تعني الجاهلين (٢٤)، وقيل النصارى(٢٥) ، وللزمخشري قول مختلف عن سابقيه في بيان معنى هذه المفردة، إذ هو شعر بالمعنى الذي اضافه المد على هذه المفردة، ويؤيد ما ذهبنا إليه في أثر المد على المعنى، بقوله: "فمضمونها أن عدد المهديين كثير في نفسه، ومضمون الآيات الأخر أن عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين" (٢٦)، و وافقه على هذا المعنى الطاهر بن عاشور فهي دالة على كل من ضل عن الهدى(٢٧)، وبذلك يتضح لنا بأن هذه المفردة وبفعل المد اللازم توسع المعنى حتى شمل كل منحرف وضال، ولم تكن مقتصرة على النصارى فقط، وهذا ما اطلقت عليه مناسبة المد للمعنى.

المطلب الثاني: المد العارض:

للمد العارض للسكون أثر على المعنى ومناسبة اتفقت مع معنى المفردة، فالمد العارض هو "الوقف على ما بعد حرف المد بالسكون العارض" (٢٨)، أو هو مجيء السكون العارض بعد أحد حروف المد.

وقد ورد هذا المد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: "**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ**" (٢٩)، فإن مفردة الحرث اشتملت على معنى كبير، ولها دلالات مطلقة غير مقيدة، فهي غير مقتصرة على شيء بعينه، إذ ينضوي تحت حروفها ووقع صوتها عدة معاني، فقد تعني الحرث المتحصل من النساء، أي: ما وهبكم الله الولد واللذة من نسائكم (٣٠)، وقال السمعاني في تفسيره لهذه الآية : "أي: تنبتونه يقال للولد زَرَعه الله أي: أنبته الله" (٣١)، كما ذهب الراغب الاصفهاني إلى هذا المعنى بقوله: "فأثبت لهم الحرث، ونفى عنهم الزرع، وقد جعل الله تعالى النساء محترثا للرجل، وجعل له قوة النكاح حفظا للنسل" (٣٢)، بينما نجد بعض المفسرين قيّد المعنى تقييدا مخالف لما قال به المفسرين الاجلاء، ومنهم النسفي إذ حصر المعنى في المزروعات فقط بقوله : "ما تحرثونه من الطعام أي تثيرون الأرض وتلقون فيها البذر" (٣٣)، بيد ان المد العارض للسكون كان مناسباً للمعنى المراد من هذه المفردة وهي شملت كل ما يحصل عليه الفرد في حياته الدنيا، سواء كان هذا المحصول من

النساء(الاولاد واللذة والمتعة)، ام من الأرض (المزروعات التي تكون طعاما للإنسان أو ما كانت طعاما للحيوانات).

كذلك الحال في لفظ (الرحيم) لم ترد صفة الرحمة بلفظ (رحيم) في القرآن الكريم، إلا مسبوقة بأحد الألفاظ: **الرحمن**(٣٤)، **التواب**(٣٥)، **الغفور**(٣٦)،**العزيز**(٣٧)،من امثلة ذلك قوله تعالى: "ﭐ فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ **كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ۝ " (٣٨) ، ﭐ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ " (٣٩)، ﭐ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ۝ " (٤٠)، ﭐ **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ۝ " (٤١).

وفي ذلك دليل على سعة رحمة الله وشمولها كل الخلق، ولم تكن مقتصرة على المؤمنين، أو المسلمين، بل لم تكن مقتصرة على الانسان فقط، بل شملت كل المخلوقات.

المطلب الثالث: مد اللين:-

هو "مد حرفي اللين (الواو، الياء) إذا سكنتا وفُتح ما قبلهما" (٤٢)، "وأما اللين فهو عبارة عما يجري من الصوت في حرف المد، ممزوجا بالمد طبيعة وارتباطا، لا ينفصل أحدهما في ذلك عن الآخر، وهو أجرى في الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما" (٤٣) وسميت حروفه بحروف اللين وذلك لضعفها(٤٤).

وقد كان الاستعمال القرآني لمد اللين في مواضع عديدة، منها سورة قريش بقوله تعالى: " ﭐ **إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ۝ " (٤٥) وقد ناسب المد في هذه الآية المباركة معنى التوسع والشمول والاطلاق، في معنى النعمة التي منّ الله بها عليهم، كما تضمنت معنى الشمول، أي كل صيف مروا به.

وقد ورد في تفسير مقاتل وغيره من المفسرين الاجلاء ما يؤكد ذلك، إذ ان الله قذف في قلوب اهل الحبشة حمل الطعام إلى أهل مكة للبيع "فحملوا إليهم فجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والحمير، فيشترون الطعام على مسيرة يومين من مكة، وتتابع ذلك عليهم سنين، فكفاهم الله مؤنة الشتاء والصيف" (٤٦) وهذا التفسير يتضمن معنى الاطلاق، "أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة" (٤٧)، وذهب ابن كثير إلى تأكيد وتأييد ما سبق بقوله: "أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به" (٤٨).

يتضح مما سبق أن مد اللين جاء مناسبا لمعنى عظمة النعمة التي منّ الله بها على اهل مكة، وبذلك يكون مجيء المد منسجما ومناسبا للمعنى الذي تضمنه النص القرآني المبارك من عظمة النعمة، وكذا الحال في لفظة (قوم) في سورة الاعراف اذ افادت معنى الشمول والعموم، واستغرقت المدة الزمنية منذ زمن وجود نوح عليه السلام إلى

زماننا الحاضر، أي: يجب على كل الاقوام الالتزام بعبادة الله الواحد الأحد، لئلا يعذبهم الله يوم القيامة، ولم تكن مقتصرة على قوم نوح فحسب، ﭐﱡ "**ﱡ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﱠ " (٤٩).

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: "أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية: أنه أرسل نوحا إلى قومه، منذرهم بأسه، ومخوفهم سخطه، على عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: يا قوم، اعبدوا الله الذي له العبادة، وذلوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، واتركوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك (عذاب يوم عظيم)، يعني: عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم" (٥٠)، فقد ارسل الله سبحانه نوحا (عليه السلام) منذرا ومحذرا للخلق ان لا يعبدوا إلا الله وحده، ويتركوا عبادة الاصنام وكل معبود غيره(٥١).

المبحث الثالث: المد بسبب الهمز :

يتألف المد باتحاد مجموعة أصوات (حروفا او كلمات) مخصوصة تجتمع فينتج عن هذا الاتحاد إطالة بالصوت، ومن هذه الحروف الهمزة (ء)، إذ بمجيئها بعد الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، أو بعد الياء الساكنة المكسور ما قبلها، أو بعد الواو الساكنة المضموم ما قبلها ينتج مدا لأحد هذه الحروف، قال ابن جني: "أن الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخي مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الحروف المصّوتة قبله ثم تماديت بـهن نحوه، طلن وشعن في الصوت، فوفين له وزدن في بيانه ومكانه" (٥٢) وبهذا يكون سبب الإطالة – عنده – من أجل صوت الهمز؛ للتمكن من نطقه، وهو على نوعين: مد متصل، وآخر منفصل.

المطلب الأول: المد المتصل:

هو "ما كان الهمز المسبب للمد مع حرف المد في كلمة واحدة" (٥٣)، أو هو توالي حرف المد والهمزة في كلمة واحدة(٥٤)، "وهو الذي يكون حرف المد والهمز في كلمة واحدة مثل: الصائمين، والسماء، وجيء، السوء" (٥٥).

اتحاد الهمزة مع حروف المد الثلاثة ينتج مدا مناسبة لمعنى الكلمة المتضمنة له، فمثال حرف الألف: وهي الألف الساكنة المفتوح ما قبلها وجاء بعدها همزة في الكلمة نفسها قال تعالى: "ﭐﱡ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﱠ " (٥٦).

قال الطاهر بن عاشور: "وقوله: إذا جاء أحدكم الموت غاية لما دل عليه اسم الحفظة من معنى الإحصاء، أي فينتهي الإحصاء بالموت، فإذا جاء الوقت الذي ينتهي إليه

أجل الحياة توفاه الملائكة المرسلون لقبض الأرواح" [٥٧]، فقد ناسب المد في هذه الكلمة للمعنى الحقيقي لها وهو طول المدة الزمنية التي قضاها العبد، وايضا فيه إشارة إلى هول هذا المجيء وشدّته على الإنسان؛ لأن روحه ستقبض بيد ملائكة كثر، وليس عزائيل وحده، أي أن روحه سيستخرجها مجموعة من الملائكة الموكلين بهذه المهمة؛ لذلك استعمل الله سبحانه لفظ (رسلنا) بصيغة الجمع، ولم يستعمل صيغة المفرد بلفظ: (وحينا أو عزائيل)، ومن الملاحظ أن لفظ (جاء) وردت للتعبير عن المجيء من البعيد منها قوله تعالى : "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى " [٥٨]، وقوله تعالى: **"وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى"** [٥٩]، فكل هذه النصوص تؤكد على أن معنى المجيء هو الاتيان من مكان بعيد.

ومثال حرف الياء: الياء الساكنة المكسور ما قبلها وجاء بعدها الهمزة في الكلمة نفسها، في قوله تعالى: **"وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى "** [٦٠]، مد المجيء بجهنم ناسب معنى تلك الصورة الموحشة التي رسمها الله لجنهم من ظلمتها وانقيادها بعدد كبير من الملائكة، فضلا عن هولها، وقسوتها على كل من يُلقى فيها ممن خفّت موازينه، قال مقاتل: " يُجاء بها مسيرة خمسمائة عام" [٦١]، وقال الزجاج: "وقيل في التفسير جيء بجهنم تقاد بألف زمام كل زمام في أيدي سبعين ألف ملك" [٦٢]، "يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام" [٦٣]، وقد كشف الطاهر بن عاشور عن صورة هذا المجيء بقوله: "هو توطئة وتشويق لسماع ما يجيء بعده وتهويل لشأن ذلك اليوم" [٦٤].

لقد تبين لي من خلال ما تقدم بأن المدّ في هذه اللفظة ناسب المعنى المقصود منها، وهو تهويل لذلك الموقف المرعب الذي سيتعرض له الكفار آنذاك حينما يشاهدون النار تُجر نحوهم بسبعين ألف ملك بأيديهم سبعين ألف قيد، على الرغم من غلظتهم وشدتهم وقوتهم إلا أن النار تتطلب هذا العدد الكبير لانقيادها معهم لمحلها الأخير لتحرق وجوها وتصهر اجسادا...

حرف الواو: الواو الساكنة المضموم ما قبلها وجاء بعدها همزة في الكلمة نفسها.

"أَيَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " [٦٥]، (سوء) محل البحث والتي افادة الإطلاق والتهويل، واتصفت بالعموم والشمول، أي لا يوجد أسوء منه، لذلك صوّر الله سبحانه حيرة والد الانثى بين خيارين: الفطرة، ونظرة المجتمع السيئة لمولوده، أيهما يختار، الاحتضان والمحبة والرعاية مع الذل، أم يدسها في التراب قبل ان يراها غيره؟

وفي ذلك قال مقاتل: "يعني لا يريد أن يسمع تلك البشرى أحدا" [٦٦]، أو تجنبا لتعيير المجتمع له؛ لسوء المُبشر به[٦٧]، ومثل ذلك قال الرازي في مفاتيح الغيب: "أي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به، قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكرا ابتهج به، وإن كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها أنه ماذا يصنع بها؟" [٦٨].

وقال الآلوسي: "أي أيمسك المبشر به وهو الأنثى مهانا ذليلا" [٦٩]؛ لأن نظرة المجتمع لوالد الانثى نظرة استصغار وذل وهوان، وكانت الزوجة تكره ان تنجب انثى لئلا يفارقها زوجها؛ فبعضهم كان يفارق زوجته بسبب ولادتها للأنثى ، حتى كان يقول معظمهم : (نعم الصهر القبر)، وإذا تحمل بقائها حيّة فإنه سيعمد إلى حرمانها من الإرث[٧٠].

المطلب الثاني: المد المنفصل:

هو كل لفظ مؤلف من كلمتين جاءت الهمزة بعد حرف المد [٧١]، "وهو ما كان حرف المد في آخر كلمة والهمز في أول الكلمة التي تليها " (٧٢)، يشترط بهذا ان المد ان يكون في كلمتين منفصلتين، ومثاله قوله تعالى: "**أَأَنتَ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ۝ " [٧٣]، **وقوله تعالى:** "**أَأَنتَ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ** ۝ " [٧٤]، فقد ورد في مطلع السورتين اداة النداء (يا) المختومة بألف ساكنة مفتوح ما قبلها، وتلتها الهمز في الكلمة التي بعدها (أيها) وقد تألف المد المنفصل من هذا التركيب، ومما لا شك فيه هناك مناسبة بين هذا المد والمعنى المقصود من هذا التركيب؛ لأن المخاطب هنا هو النبي محمد (;) واراد الله أن يعظّم شأن نبيه في الخطاب، وفيه إشارة إلى عظم حجم المهمة الموكلة إليه وصعوبتها وقسوة ما سيلاقيه من قومه، لذلك ناسب حكم المد تعظيم شأن المخاطب وهو النبي محمد (;) وإخبار بأهمية وصعوبة المهمة؛ لأنها تتطلب العمل المتواصل والدؤوب وترك الاسترخاء والراحة، "الفرق بين التزمل (الشعار) والدثار، أن الشعار هو الثوب الذي الملاصق لجلد الإنسان، بينما الدثار يُطلق على الثوب الذي فوقه" [٧٥].

قال الزمخشري: "سمع من قريش ما كرهه فاغتم، فتغطي بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم. فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه" [٧٦]، واشتمل هذا النداء على تسلية للنبي وتقوية له مما سيلاقيه من المشركين (٧٧)، قال الطاهر بن عاشور: "وزيادة بإذنه ليفيد أن الله أرسله داعيا إليه ويسر له الدعاء إليه مع ثقل أمر هذا الدعاء وعظم خطره" [٧٨]، فإن النبي (;) كان يتزمل بثيابه مما يعتريه من الحزن بسبب المشركين[٧٩].

من خلال ما تقدم اتضح لنا بأن المد بكل انواعه ناسب المعنى في تلك اللفظة، ولم يكن توالي الحروف عبثيا من دون قصد، بل إن هذه التراكيب ركبها الله سبحانه على لسان نبيه المصطفى (;) ليكشف للخلق اجمع بأن كل الحروف والحركات والاصوات وضعت لقصد وغاية ارادها الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة:

بعد كل ما تقدم من كلمات إلهية، واقوال العلماء وتحليليها، يمكنني أن اعرض أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

١-من المؤكد بأن القرآن الكريم معجزة خالدة، أراد الله لها الخلود على مر العصور والدهور وتتابع الخلق.

٢-كل ما ورد في القرآن الكريم فهو مقصود، ولا وجود للعبثية وعدم القصدية فيه.

٣-لا اقصد التعميم فيما ذكرت من مناسبات بين المد والمعنى في هذا البحث، ولكني أجزم بأنّ هناك علاقة بين احكام التلاوة والنص القرآني، وهذه العلاقة ظهرت على شكل غرض بلاغي، أو اعجاز، أو معنى تفسيري، أو غيرها.

٤-العلوم القرآنية مبثوثة في المؤلفات المتعلقة بالقرآن الكريم واللغة العربية، ولا يوجد كتاب جامع لكل هذه العلوم والفنون، لذا على الباحث استقصاء هذه الموضوعات وجمعها من مصادرها لعرضها على الباحثين والمتخصصين بطريقة موضوعية، ليسهل تدارسها على طلبة العلم والباحثين.

٥-انصح طلبة العلم والباحثين أن يجتهدوا بالبحث في القرآن الكريم؛ لأنّه ثروة علمية لا تنضب، فضلاً عن الأجر الذي سيحصل عليه الباحث في الدنيا والآخرة.

٦-لا أدعي الكمال لهذا الجهد اليسير؛ لأنّه نتاج الباحث القاصر، فالكمال لله وحده.

الهوامش:

١) لسان العرب، ابن منظور: مادة (مدد).
٢) مختار الصحاح، الرازي : مادة (مدد) ٣٢٠.
٣) يُنظر: تجويد القرآن، مرتضى العسكري: ٨٧.
٤) ينظر: الموجز في علم التجويد، عبد الهادي الفضلي : ٨٣.
٥) الجديد في فن التجويد، مصطفى الصراف: ١١٨، ويُنظر: السديد في فن التجويد: ١٢٩.
٦) مرشد القارئ، ابن الطحان: ٦٣، وينظر: العميد في علم التجويد، محمود البسة: ٨٣.
٧) يُنظر: أحكام قراءة القرآن الكريم، الحصري: ٢١١.
٨) أحكام قراءة القرآن الكريم، الحصري : ٢١١.
٩) يُنظر: الموجز في علم التجويد، عبد الهادي الفضلي: ٨٤.
١٠) أحكام قراءة القرآن الكريم، الحصري: ٢١١.
١١) يُنظر: السديد في فن التجويد، محمد قاسم الصراف: ١٣٠.
١٢) الموجز في علم التجويد، عبد الهدي الفضلي: ٨٤ .
١٣) ينظر: تقريب النشر في القراءات العشر، الجزري: ٥٠.
١٤) يُنظر: الموجز في علم التجويد، عبد الهادي الفضلي: ٢٧- ٢٨.
١٥) يُنظر: العميد في علم التجويد، محمود البسه: ١١٨.
١٦) سورة النازعات : آية ٣٤.
١٧) سورة عبس:آية ٣٣.
١٨) جامع البيان، الطبري: ٢١١/٢٤.
١٩) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/ ٢٨١.
٢٠) اسرار التكرار في القرآن، الكرماني: ٢٤٥.
٢١) يُنظر: أشهر المصطلحات في فن الاداء، الحفيان: ٢٤٣.
٢٢) سورة القارعة: الآيات ١-٣.
٢٣) سورة الفاتحة: آية ٧.
٢٤) يُنظر: تفسير مجاهد: ٥٠٩، ايجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري: ٦٢١/٢، مدارك التنزيل، النسفي: ١٧١/١.
٢٥) يُنظر: جامع البيان، الطبري: ١٩٣/١، تفسير الراغب الاصفهاني:٦٨/١.
٢٦) تفسير الكشاف، الزمخشري:١١٨/١.
٢٧) يُنظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١١٣.
٢٨) السديد في فن التجويد، محمد قاسم الصراف: ١٤٢.
٢٩) سورة الواقعة: آية ٦٣.
٣٠) معاني القرآن، الزجاج: ٢٩٨/١.
٣١) تفسير القرآن، السمعاني: ٣٥٥/٥.
٣٢) تفسير الراغب الاصفهاني: ٤٥٨/١.

٣٣) تفسير مدارك التنزيل، النسفي: ٤٢٦/٣.
٣٤) سورة الفاتحة: آية ١،٣، سورة البقرة: آية ١٦٣ .
٣٥) سورة البقرة: آية ١٢٨،٥٤،٣٧، سورة التوبة: آية ١٠٤.
٣٦) سورة يونس: آية ١٠٧، الشعراء: آية ١٢٢.
٣٧) سورة الشعراء: آية ٩.
٣٨) سورة البقرة: آية ٣٧.
٣٩) سورة الحجر: آية ٤٩.
٤٠) سورة الشعراء: آية ٩.
٤١) سورة النمل: آية ٣٠.
٤٢) يُنظر: السديد في فن التجويد، محمد قاسم الصراف: ١٤٢، والعميد في علم التجويد، محمود البسه: ٨٣.
٤٣) التمهيد في علم التجويد، علي حسين البواب: ٥٤.
٤٤) يُنظر: التحديد في الاتقان والتجويد، ابو مرو الداني: ١٠٩.
٤٥) سورة قريش: آية ٢.
٤٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/ ٨٦٠.
٤٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ٣/ ٦٨٣.
٤٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٦/ ٢٩٥.
٤٩) سورة الاعراف: آية ٥٩.
٥٠) جامع البيان، الطبري: ١٢/ ٤٩٨، ينظر: تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن: ٢١٤/٢.
٥١) يُنظر: معاني القرآن، الزجاج:٣/ ٤٦.
٥٢) الخصائص، ابن جني: ١٢٧/٣.
٥٣) الموجز في علم التجويد، عبد الهادي الفضلي: ٨٥.
٥٤) يُنظر: الرائد في تجويد القرآن الكريم، دكتور محمد سالم: ٢٤.
٥٥) الإجابات الواضحات لسؤالات القراءات، احمد الحفيان: ٢٤٢، وينظر: المغني في توجيه القراءات المتواترة: ١/ ١٠٣.
٥٦) سورة الانعام:آية ٦١.
٥٧) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٧/ ٢٧٨.
٥٨) سورة القصص: من الآية ٢٠.
٥٩) سورة يس: من الآية ٢٠.
٦٠) سورة الفجر: الآية ٢٣.
٦١) تفسيرالقرآن، مقاتل: ٤/ ٦٩١.
٦٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٥/ ٣٢٤.
٦٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٧٥٢، ويُنظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٣١/ ١٥٩.
٦٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٣٠/ ٣٣٥.
٦٥) سورة النحل: آية ٥٩.
٦٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/ ٤٧٤.

٦٧) يُنظر: الكشاف، الزمخشري : ٢/ ٦١٢.
٦٨) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ٢٠/ ٢٢٥.
٦٩) روح المعاني، الآلوسي: ٧/ ٤٠٨.
٧٠) يُنظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٤٥.
٧١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢٥.
٧٢) الموجز في علم التجويد، عبد الهادي الفضلي: ٨٥ .
٧٣) سورة المدثر: الآية ١.
٧٤) سورة المزمل: الآية ١.
٧٥) يُنظر: تفسير القرآن، السمعاني: ٦/ ٨٨.
٧٦) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٦٤٥.
٧٧) يُنظر: تفسير القرآن، مصطفى المراغي: ٢٩/ ٢٥
٧٨) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٢٢/ ٥٤.
٧٩) يُنظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٢٩/ ٢٥٧.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- الإجابات الواضحات لسؤالات القراءات القراءات العشر المتواترة أصولا وفرشا، الشافعي أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٢- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، (ت:، دار البشائر الاسلامية المكتبة المكية، مكة، ط٢، (١٤١٧هـ).

٣- أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، (ت:٥٣١هـ) ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، متن الدرة المضية في القراءات الثلاثة المتممة للعشرة لابن الجزري، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، القاهرة.

٤- إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم نجم الدين ، (ت:٣٥٣هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

٥- البرهان في علوم القرآن، الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبي وشركائه، بيروت، ط١، (١٣٧٦هـ).
٦- التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، الدكتور محمد صالح الضالع القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، (٢٠٠٢م).
٧- التحديد في الإتقان والتجويد، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، (ت:٤٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد ، مكتبة دار الأنبار – بغداد / ساعدت جامعة بغداد على طبعه، د.ط، بغداد، (١٤٠٧هـ).
٨- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، (١٩٨٤م).
٩- تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ط١، (١٤٢٠هـ).
١٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:٧٧٤)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد بيضون، ط١، (١٤١٩هـ).
١١- تفسير القرآن، السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، (ت:٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض السعودية، ط١، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
١٢- تفسير القرآن، السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ، ط١، (١٤١٨هـ).
١٣- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت:١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط١، (١٣٦٥هـ).
١٤- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت:٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، (١٤١٩هـ).
١٥- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي،

(ت:١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

١٦- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، (ت:١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار احياء التراث، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).

١٧- تقريب النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن علي الجزري شمس الدين أبو الخير الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٣هـ).

١٨- التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، (ت:٨٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، الرياض، مكتبة المعارف،ط.١، (١٤٠٥هـ).

١٩- التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، (ت:٥٣٧هـ)، وآخرون، تحقيق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، اسطنبول ، ط١، (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م).

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، (ت:٣١٠هـ)، دار التربية والتراث مكة المكرمة.

٢١- الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت:٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٤، د.ت.

٢٢- الرائد في تجويد القرآن الكريم، الدكتور محمد سالم محيسن، دار محيسن للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢، (١٤٢٣هـ).

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).

٢٤- السديد في فن التجويد، محمد قاسم محمد الصراف، بغداد، ط١، (١٤٣٠هـ).

٢٥- العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسّة المصري، (ت:١٣٦٧هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى، دار العقيدة، مصر الاسكندرية، ط١، (١٤٢٥هـ).

٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، (١٤٠٧هـ).

٢٧- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (ت:٧٤١هـ)، تصحيح:

محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ).
٢٨- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت:٧١١هـ)، دار صادر للنشر، بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ).
٢٩- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي،(ت:٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، ط٥، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
٣٠- مرشد القارئ إلى معالم المقارئ، بن الطحان أبو الأصبغ وأبو حميد عبد العزيز بن علي السُّماتي الإشبيلي، (ت:٥٦١هـ)، تحقيق حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الامارات العربية المتحدة الشارقة، ط١، (١٤٢٨هـ).
٣١- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، (ت:٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب للنشر، ط١،(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
٣٢- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، الدكتور محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ط٣، (١٤١٣هـ).
٣٣- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت:٦٠٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ).
٣٤- الموجز في علم التجويد، عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ط١، (١٤٣٠هـ).